

الفصل الأول التجربة الاستعمارية

- إن أى إنسان يبدان قانونياً بعبادة إله غير إلهنا سوف يعدم .
- إن كل من يعمل بالسحر رجلاً كان أو امرأة (أى تكون له صلة أو يلجأ للاستعانة بالأرواح) سوف يُعدم .
- إذا ما قام أى إنسان بسبّ الرب الأب أو الابن أو الروح القدس ، سواء بالتعبير الصريح أو بالتجريح ، أو عن طريق العمد ، أو يلعن الرب بأسلوب مماثل سوف يعدم .
- تلك مختارات من قوانين الإعدام التى تشكل جزءاً من هيئة الحريات ماساتشوستس لعام ١٦٤١ والتى اشتملت عليها القوانين الاستعمارية لولاية ماساتشوستس .

• نظرة عامة

لقد حدد البيوريتانيون (التطهريون) فى مستعمرة خليج ماساتشوستس اثنتى عشرة جريمة يعاقب فيها المرء بعقوبة الإعدام . والجرائم الثلاث الأولى (المذكورة أعلاه) تتعلق بالأمور الدينية . لقد جنح النظام البيوريتانى فى أوجه إلى النمط الشيوقراطى الذى تعرضنا له فى المقدمة . وفى هذه المستعمرة ، سيطرت الكنائس البيوريتانية على الحكومة وحرص البيوريتانيون بشكل جاد على استخدام كل من المنظمات السياسية والدينية فى صياغة رؤيتهم للمجتمع على أساس معتقداتهم الدينية . وكما سنرى فى هذا الفصل ، فإن الدين والسياسة تداخلتا بشكل كبير وقت المستعمرات ، ولكن كان هناك اختلاف جوهري بين مستعمرة وأخرى .

وقد تباين هذا الاختلاف فيما بين الميل إلى الشيوعية في مستعمرة خليج ماساتشوستس، وبين إقامة الكنيسة الرسمية في بعض المستعمرات، وبين الميل إلى إلغاء مبدأ الكنيسة الرسمية في رود آيلاند.

ويتناول هذا الفصل الدين والسياسة في المستعمرات في الفترة السابقة للثورة الأمريكية، وستتناول الفصل التالي الروابط الدينية والسياسية في عهد الثورة وتأسيس الولايات المتحدة.

ولكى نفهم العلاقات التي ربطت بين الدين والسياسة خلال نشأة الولايات المتحدة، لا بد أن نستعرض أولاً الجذور الاستعمارية المهمة. فقد كان للتجارب الدينية والسياسية في المستعمرات الأولى أثر على صياغة وثيقة «إعلان الاستقلال» ودستور الولايات المتحدة ودساتير الولايات. وقد أثرت هذه النظم بدورها على مسار التاريخ في الولايات المتحدة. وكما أوضحنا في المقدمة، يمكن لكل من الدين والسياسة أن يكونا مصدرين لهما سلطة ومعنى في حياة الناس. وكان هذا هو الحال السائد في المستعمرات.

سوف نبدأ دراستنا بالبيوريتانيين في مستعمرة خليج ماساتشوستس فنصف تراثهم الخاص بالتطور السياسي، ثم نتقل بعد ذلك لدراسة أهم التطورات التي حدثت في المستعمرات البريطانية الأخرى، مثل نمو التسامح الديني في رود آيلاند والتعددية الدينية في مستعمرات الوسط الأمريكي، وضعف المؤسسات الدينية في مستعمرات الجنوب. وستتناول بعد ذلك أهم قوتين ساعدتا في القرن الثامن عشر على صياغة مستقبل الدين والسياسة في الولايات المتحدة. وهاتان القوتان هما: الصحوة الكبرى (وهي الإحياء الديني للكالفينية الإيقانجليكية، الأمر الذي ما زال يتردد صداه اليوم في بث التلفاز المسيحي)، والدين العقلاني (الذي يركز على الحجج والمنطق). والأسئلة التالية هي بعض الأسئلة المهمة التي سيتم تناولها في هذا الفصل.

* ما هو العهد البيوريتاني؟ وكيف أثر على التطور السياسي للولايات المتحدة؟

* ما هي الروابط التي ربطت بين التنظيم الديني للبيوريتانيين والحكومة المدنية

الخاصة بمجتمعهم؟

- * كيف ساهمت أبرشية البيوريتانيين فى نشأة الديمقراطية؟
- * ما هى الرؤية البيوريتانية تجاه التسامح الدينى؟
- * كيف نشأت التعددية الدينية فى مستعمرات الوسط الأمريكى؟
- * ما هى الصحوة الكبرى؟ وكيف أثرت على الدين والسياسة فى المستعمرات؟
- * ما هو الدين العقلانى وكيف اختلف عن الدين التقليدى؟
- * كيف وحد الدين العقلانى ودين التَّقْوِيَّة قُوَاهُمَا فى الصحوة الكبرى لدعم الثورة الأمريكية؟

وسوف يتخلل هذه الدراسة عدد من القضايا الأساسية . لذا؛ فإنه يتعين على القارئ عند قراءة هذا الفصل - وكذلك معظم الكتاب - أن يتذكر القضايا التى تتعلق بالعلاقة السليمة بين :

- * الكنيسة والدولة .
- * الكنيسة والفرد .
- * الدولة والفرد .
- * الجماعات المختلفة ذات المعتقدات الدينية المتصارعة .

• تقديم موجز لأمريكا المستعمرة

إن المستعمرات التى ستعرض لها بالدراسة، هى التى أصبحت فى نهاية الأمر الولايات المتحدة الأصلية . لذا كان للتطورات التى حدثت فى تلك المستعمرات أثر بالغ فى صياغة تاريخ الروابط السياسية والدينية فى الولايات المتحدة . كانت تلك المستعمرات كلها بريطانية، على الرغم من أن نيويورك ظلت مستعمرة هولندية حتى عام ١٦٦٤ . وقد سبق مهاجرون آخرون (مثل السويدىين) مهاجرى بريطانيا فى بعض المناطق المستعمرة . وعلاوة على ذلك، فإن معظم المستعمرين كانوا فى المقام الأول پروتستانت . ومع ذلك، كانت هناك فى تلك الفترة مؤثرات أخرى غير بريطانية أو غير پروتستانية، أثرت على نشأة الولايات المتحدة كما نعرفها اليوم .

أولاً، حينما جاء المستوطنون الأوروبيون إلى هذه البلاد، كانت قد اكتُشفت واستُعمرت بالفعل. ففي الوقت الذي بدأ فيه الأوروبيون الاستيطان فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة، كان هناك الملايين من المواطنين الأمريكيين الأصليين يعيشون فيها بالفعل. وعلى الرغم من أن تنوع الآراء الدينية لسكان أمريكا الأصليين لم يكن له - فيما يبدو - أثر مباشر وواضح على الممارسات الدينية والسياسية في الولايات المتحدة، إلا أنه من المرجح أن يكون الاحتكاك والتفاعل بين المستوطنين الأوروبيين والأمريكيين قد أحدثا - على الأقل - بعض التأثير على التطورات الدينية والسياسية في الولايات المتحدة.

ثانياً، لم يكن البروتستانت البريطانيون هم أول مستوطنين في العالم الجديد. فقد سبقهم إليه الكاثوليك الإسبان. وأقدم مستوطنة أوروبية دائمة في الولايات المتحدة هي سانت أوجستين بفلوريدا، التي أسسها الكاثوليك الإسبان في عام ١٥٦٥. بالإضافة إلى ذلك، انشغل الكاثوليك الفرنسيون فيما بعد بإقامة مستوطنات أصبحت في النهاية تشكل جزءاً من الولايات المتحدة. ومن ثمّ، فإن المستعمرات البروتستانتية البريطانية - التي أصبحت أصل الولايات المتحدة - انضمت إليها فيما بعد المستعمرات الفرنسية والإسبانية. وقد جاء المستوطنون أيضاً من بلدان كثيرة مثل ألمانيا والسويد وهولندا.

ثالثاً، خلال الفترة الاستعمارية والفترات التالية، تم جلب آلاف من الأفارقة السود - ذوى الخلفيات الثقافية المتنوعة - إلى هذه البلاد كعبيد. وقد أثر التفاعل بين المستوطنين الأوروبيين والعبيد والسود على التطور الديني والسياسي للولايات المتحدة. وكما سنرى في الفصل الثالث من الجزء الثاني، فقد استخدم ملاك العبيد الدين في بعض الأحيان كوسيلة لخلق القبول والإذعان لدى العبيد والسود. ومع ذلك، فقد ساعد هذا الدين أيضاً في دعم الأمريكيين السود في سعيهم لتحقيق المساواة العنصرية (مثل الدور الحيوى الذي لعبته كنائس السود في حركة الحقوق المدنية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين).

* مستعمرة خليج ماساتشوستس: البيوريتانيون

دوافع المستعمرة

جاء المستعمرون البيوريتانيون - الذين أسسوا مستعمرة خليج ماساتشوستس - إلى العالم الجديد بدوافع دينية إلى حد ما . لقد جاءوا من إنجلترا إلى هنا لكي يحيوا حياتهم بالشكل الذي يتماشى مع رؤاهم الدينية حيث تعذر ذلك في إنجلترا .

لقد كانت الكنيسة الكاثوليكية قبل القرن السادس عشر هي الكنيسة الرسمية في أوروبا . وفي القرن السادس عشر ، قام رجال مثل لوثر وكالفين بحركة الإصلاح البروتستانتية . وعقب هذه الحركة ظلت بعض الدول - مثل إسبانيا - كاثوليكية ، بينما أصبحت الدول الأخرى بروتستانتية . وفي إنجلترا ، قام هنري الثامن لأسباب شخصية (*) أكثر منها دينية بالانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية وإنشاء كنيسة إنجلترا (الكنيسة الإنجليكانية) ونصب نفسه رئيساً للكنيسة .

والبيوريتانيون هم البروتستانت الذين أرادوا تطهير كنيسة إنجلترا . وبينما أراد بعض البيوريتانيين (مثل المهاجرين الإنجليز الأوائل) الانفصال تماماً عن كنيسة إنجلترا ، أراد البعض الآخر الذي استوطن مستعمرة خليج ماساتشوستس أن يستمروا في التبعية الرسمية لكنيسة إنجلترا ، بينما يمارسون في الوقت نفسه معتقداتهم بشأن ما يجب أن تكون عليه الكنيسة . وخلال الحكم العدائي لـ جيمس الأول وشارلز الأول ، رأى كثير من البيوريتانيين أنه من الأفضل لهم الذهاب إلى مكان آخر لممارسة معتقداتهم . . لذا ؛ قام البيوريتانيون بتأسيس مستعمرة خليج ماساتشوستس في عام ١٦٣٠ ، وخلال العقد التالي ، هاجر أكثر من عشرين ألف بيوريتاني إلى هذه المستعمرة .

وكان بيوريتانيو مستعمرة خليج ماساتشوستس أبرشيين . حيث كان للمستوطنات المختلفة في تلك المنطقة كنائسها الخاصة التي تقوم على أساس الأبرشية . وكانت كل أبرشية تختار قسيسها وتتخذ قراراتها في إطار حدود معينة . وربط جميع الأبرشيات هيكل شامل ومجموعة شبه متماثلة من المعتقدات والممارسات ، وكان لا يسمح لأي أبرشية أن تنفصل عن سائر الأبرشيات .

(*) كانت مسألة زواج جديد وطلاق لهنري الثامن - الناشر .

كان البيوريتانيون ينظرون إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم . فعلى غرار الخروج الجماعى المذكور فى العهد القديم والذى هرب فيه اليهود من مصر ورحلوا إلى أرض جديدة وعدهم الرب بها، نظر البيوريتانيون لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة. أما العالم القديم بالنسبة لهم، فكان هو مصر التى فروا منها. لقد عقدوا عهداً مع الرب: إنه إذا أمن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعاً تحكمه القوانين الإلهية.

ولقد شبه جون وينشروب - أول حكام مستعمرة خليج ماساتشوستس - المستعمرة بمدينة فوق التل (أى مدينة فاضلة) تتجه إليها أنظار العالم. واعتبر البيوريتانيون أنفسهم مثلاً يحتذى به العالم. واستمر هذا النوع من التفكير فى الولايات المتحدة، إذ إن الأمريكين غالباً ما يرون أنفسهم مكلفين بمهمة خاصة، وهى أن يكونوا مثلاً يُحتذى به فى سائر أنحاء العالم.

ونظراً للمكانة البارزة التى احتلتها التجربة البيوريتانية فى أعين العالم، آمن البيوريتانيون بأن الرب سينزل بالمستعمرة أشد عقاب على أى خطيئة. فقد كان العهد عبارة عن اتفاقية أبرمها جميع المستعمرين مع بعضهم البعض ومع الرب، ومن ثم أصبحت هذه الاتفاقية بمثابة عقد ملزم لسائر المجتمع. وقد انعكس هذا العهد على كل من النظم الدينية والسياسية، وكان يتعين على كل من الدولة والكنيسة أن تعضد وأن تحمى كلتاهما الأخرى، بالرغم من كونهما مؤسستين مستقلتين. فالجميع مطالبون بالذهاب إلى الكنيسة وتقديم الدعم المادى لها.

وقد أصبح مفهوم هذا العهد شيئاً مهماً فى التاريخ السياسى لهذه البلاد فيما بعد. فعندما وضع المؤسسون الأوائل وثيقة «إعلان الاستقلال» كان مفهوم «العقد الاجتماعى» مفهوماً مهماً: فالأفراد يبرمون عقداً مع الحكومة يوافقون بمقتضاه على الخضوع لحكمها مقابل حماية حقوقهم الثابتة. وكان العقد الاجتماعى مختلفاً تماماً عن العهد البيوريتانى، حيث إنه انبثق من كتابات جون لوك أكثر من انبثاقه من أفكار البيوريتانيين. ومع ذلك، يجب التنويه إلى نقطتين مهمتين على النحو التالى: أولاً، إن لاهوت العهد قد سبق عمل جون لوك، ومن المحتمل أن يكون قد أثر على فكره بشأن العقد الاجتماعى بين المواطنين والحكومة. ثانياً، لاهوت العهد البيوريتانى قد

أعد الأفراد للتفكير فى العقد الاجتماعى ، فلقد أعدهم للتفكير فى الالتزام بالاتفاقيات والالتزامات التى تتعلق بالرب وأعضاء المجتمع فى مقابل فوائد معينة تعود على الجميع داخل المجتمع . لقد حول العقد الاجتماعى «العهد» من عهد بين الرب والناس إلى عهد بين الأفراد والحكومة .

الانتخاب والمواطنة

وفقاً للعهد البيوريتانى ، يقوم أعضاء الكنيسة بانتخاب الحكومة ، ومن ثم نجد هنا اتجاهًا ديمقراطيًا . ويشير كوينج (١٩٧١ : ٣٩) إلى وجود ثلاثة أشكال تقليدية للنظام الكنسى (الأسقفية و المشيخية والأبرشية) . وقد ربط كثير من الناس هذه الأشكال الثلاثة على التوالى بالملكية والجمهورية والديمقراطية فى العالم العلمانى . ومن المؤكد أن فكرة أن الأبرشية هى المصدر الرئيسى للحكم فى الكنيسة ، قد أثرت على مفاهيم الديمقراطية التى ظهرت فيما بعد . ومع ذلك ، فقد كان يسمح فقط لأعضاء الكنيسة المتمتعين بالعضوية الكاملة بانتخاب الحكومة . وكان هؤلاء الأعضاء يشكلون نسبة صغيرة من إجمالى السكان ألا وهى ٢٠٪ (ميلر وچونسون ، ١٩٣٨ : ١٩١) ، أو ربما ٨٪ فقط (ريتشلى ، ١٩٨٥ : ٥٦) ، أو ربما ٦٪ فقط (فاولر ، ١٩٨٥ : ١٤) .

ولكى يتمتع المرء بالعضوية الكاملة بالكنيسة ، كان لا بد أن يظهر سموًا روحانيًا . ولقد اعتقد البيوريتانيون - استناداً للكالفينية - أن بعض الأشخاص - المختارين - قد اصطفاهم الرب دون الآخرين لتلقى النعمة الإلهية ، أى أن هذا هو اختيار الرب وليس له علاقة بسلوك الفرد . إن المرء لا يستطيع أن يحقق الخلاص بالأعمال الطيبة ، وقد اختار الرب أناساً ليتلقوا نعمته بغض النظر عن أعمالهم ، وبمجرد أن يتلقوا النعمة الإلهية ، فإنهم يفقدون حريتهم ؛ إذ يتعين عليهم فقط أن يفعلوا ما يأمرهم به الرب . وقد شكل هؤلاء الذين تلقوا النعمة الإلهية جماعة من القديسين الأحياء ، وكان عليهم التزام مقدس يتصرفون بمقتضاه .

ولم يعن كون أعضاء الكنيسة قديسين أن يكونوا بلا خطيئة . إن فساد الطبيعة البشرية التى تقوم على أساس فكرة الخطيئة الأولى ، كانت هى السمة الثابتة فى الفكر البيوريتانى . لقد آمن البيوريتانيون بأن الناس خطأؤون بطبيعتهم ، وما من أحد يستطيع

تفادى الخطيئة . لذا؛ فإن السلوك الإنساني تدينه الخطيئة وتفسده . ومع ذلك ، فقد تعين على المجتمع البيوريتانى اتباع القانون الإلهى بقدر المستطاع .

كان جميع أفراد المجتمع أعضاءً فى الأبرشية ، وكان من المفروض عليهم الذهاب إلى الكنيسة ودعمها . ومن كان يُسمح لهم بالتمتع بالعضوية الكاملة فى الكنيسة ، وبالتالى أن تكون لهم أيضاً كلمة فى الحكومة المدنية ، هم فقط هؤلاء الذين استطاعوا بصعوبة إثبات سموهم الروحانى . وكانت للحكومة المدنية سلطة على جميع أفراد المجتمع ، ولكنها كانت تخضع فقط لرقابة هؤلاء الذين يتمتعون بالعضوية الكاملة بالكنيسة .

التعصب البيوريتانى

لقد فرض البيوريتانيون نوعاً من الامتثال الشديد لمعتقداتهم ، لإيمانهم بأنهم أصحاب رسالة ، ولأنهم كانوا يريدون استمرار جهودهم فى هذا الاتجاه . وقد أدت جهود الحفاظ على الامتثال الدينى ، إلى التعصب والاضطهاد والنفى (جو ستاد ، ١٩٩٠ : ٦٥) . ويوضح تشيد ستر (١٩٨٨ : ٣٤) أنه بالإضافة إلى التوافق فى الآراء الدينية ، كان يتعين على كل فرد الذهاب إلى الكنيسة ، وأن يعيش فى جو أسرى وليس بمفرده ، وأن يتعلم القراءة ليستطيع قراءة الكتاب المقدس ، كما تم بعناية تنظيم سلوك الأفراد الشخصى وملبسهم ، وكان من المفترض أن يراقب كل منهم الآخر فى سلوكه الأخلاقى . وينتهى تشيدستر إلى أن هذه الشبكة المحكمة للعلاقات الاجتماعية ، جعلت أى خروج عن النمط المتبع بمثابة تهديد للنسيج الاجتماعى بأكمله .

لم يكن البيوريتانيون يؤمنون بالتسامح الدينى ، بل على العكس رفضوا تلك الفكرة تماماً (ميللر وچونسون ، ١٩٣٨ - ميللر ، ١٩٨٩ - ريتشلى ، ١٩٨٥ - تشيدستر : ١٩٨٨) . كانوا يؤمنون بأنه يجب ألا يُسمع سوى الحق ، وأنه أمر خطير وغير أخلاقى أن يُسمح بالتعبير عن أفكار دينية زائفة . ولم يكن البيوريتانيون هم الوحيدة الذين يفكرون بهذا المنطق . ففى ذلك الوقت كان تأييد فكرة قبول المجتمع للأديان المختلفة أمراً نادراً فى العالم ربما باستثناء هولندا . ولم يكن رفض البيوريتانيين قبول فكرة التنوع الدينى بسبب جهلهم ، بل على العكس حيث أكد البيوريتانيون بشكل كبير على ضرورة التعلم ، كما يتضح من إنشائهم للجامعات مثل جامعة هارفارد وييل .

فلم يأت البيوريتانيون إلى العالم الجديد لممارسة التسامح الدينى ، ولكن لممارسة آرائهم الدينية الخاصة بهم . فالحرية الدينية فى أعين البيوريتانيين كانت هى حرية غير البيوريتانيين فى أن يظلوا بمنأى عنهم . وهذا يتضح من النص التالى المقتبس من ناثانيل وارد (١٦٧٤ : ٩٧) :

«إننى أتكفل باعتبارى الناطق بلسان نيو إنجلاند بأن أعلن للعالم باسم مستعمرتنا ، أن جميع الغاميليست والأنتينوميين والمعمدانين وغيرهم من المتحمسين ، ستكون لهم الحرية التامة فى أن يظلوا بعيداً عنا ، على أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن لأن ذلك سيكون من الأفضل للجميع» .

ولإيمان البيوريتانيين بأن آراءهم الدينية تمثل إرادة الرب ، فقد تباهوا بمعاقة الأثمين . وارتباك البيوريتانيين فى نهاية القرن السابع عشر - عندما لاقى التسامح الدينى قبولاً أكثر فى العالم - وصفه كل من ميللر وچونسون (١٩٣٨ : ١٨٥) على النحو التالى :

«لقد شق عليهم أن يفهموا ما الذى كان يحدث فى العالم ، ولم يقتنعوا المدة طويلة أن هناك أى داع للشعور بالخجل بسبب سجلهم الحافل بجلد الكثير من الصاحبيين (الكويكرز) أو معاقة من يسب الرب ببتن أذنيه أو نفى الأنتينوميين أو تغريم المعمدانين أو إعدام السحرة» .

إن نفى كل من التابعين البيوريتانيين - روجر ويليامز وأن هتشنسن - أمر معروف تماماً . وكذلك سلوك البيوريتانيين أثناء محاكمة سحرة سالم . فى أول الأمر كان المبشرون الصاحبيون (الكويكرز) - الذين جاءوا إلى ماساتشوستس لنشر آرائهم - يتعرضون لمجرد النفى ، ولكن عندما استمروا فى القدوم ، تم تغليظ العقوبة لهم مثل بتر آذانهم ، أو ثقب ألسنتهم بالحديد الساخن ، ثم نفيتهم . ولكن هذا لم يوقف النشاط التبشيرى للصاحبيين ، لذا أضيفت عقوبة الإعدام . وقد تم إعدام أربعة صاحبيين على يد البيوريتانيين بين عام ١٦٥٩ و ١٦٦١ (ميللر ، ١٩٧٦ : ٤٠) . وعندما اتضح أن اضطهاد الصاحبيين قد وصل إلى درجة القتل ، فقد تدخل الملك شارلز الثانى فى عام ١٦٦١ وحرّم العقوبة الجسدية وعقوبة الإعدام للصاحبيين .

وعلى القارئ أن يأخذ فى الاعتبار مرة أخرى إطار عمل البيوريتانيين ، فهم يعتبرون أنفسهم الشعب المختار الجديد فى إسرائيل الجديدة ، وقد عاهدوا الرب على أن يقيموا

المؤسسات الدينية والسياسية وفقاً للقانون الإلهي . وكان لابد لهذا المجتمع من القديسين-والذين أخذوا العهد على أنفسهم- أن يظلوا طاهرين لأقصى حد يستطيع تحقيقه البشر . لقد عمل البيوريتانيون بدأب وعاشوا حياتهم زاهدين منضبطين لكي تكون لهم مدينة فوق التل (أى مدينة فاضلة) لا تفسدها الأديان الزائفة . ولم يكن التعصب الدينى الذى أظهره شيئاً جديداً، بل على العكس كان هو الأمر السائد فى معظم أنحاء العالم .

ولكن كما وصفنا فى المقدمة ، فإن بعض التحول فى الرؤية البيوريتانية- التى تربط النظام الاجتماعى السليم بالدين السليم- قد بدأ فى الظهور فى أغلب مؤسسات الدين . وكما سنرى فى الفصل الرابع ، فإن كثيراً من هذه الرؤى قد وجدت فى تسعينيات القرن العشرين طريقها إلى فكر «اليمين المسيحى الجديد» .

تآكل البيوريتانية

بدأت تآكل البيوريتانية المحضة تخبو بحلول القرن الثامن عشر ، وبدأ يحل محلها المذهبان الدينيان «العقلى والإيفانجيلي» باعتبارهما القوتين السائدتين فى الحياة الدينية للمستعمرة . وبعد اختفاء الجيل الأول من البيوريتانيين ، فشلت البيوريتانية فى الحفاظ على شكلها وحماسها الأصليين . ففى عام ١٦٨٤ ، قامت إنجلترا بسحب ميثاق مستعمرة خليج ماساتشوستس ووضعتها تحت رقابة الحكومة البريطانية فى الوطن الأم مما أدى إلى إضعاف سلطة البيوريتانيين . وعلاوة على ذلك ، فإن فكرة التسامح أصبحت تلقى قبولا أكثر فى العالم . وقد كفل قانون التسامح البريطانى لعام ١٦٨٩ التسامح الدينى لجميع البروتستانت . وفى نهاية الأمر ، لم تعد عضوية الكنيسة شرطاً مسبقاً للتصويت على الحكومة المدنية . وعلى هذا ؛ فإنه مع تقلص الحماس الدينى ، بدأت تتلاشى عضوية الكنيسة .

ويرى كل من ميللر وچونسون (١٩٣٨ : ١٢) ، أنه بمرور الوقت ، بدأت تظهر مشكلة خطيرة تتعلق بفكرة العهد . فمع فتور الحس الدينى ، أصبحت هناك صعوبة متزايدة فى التمييز بين المواطنين (أى بالمعنى البيوريتانى الأصلى الذين يتمتعون بالعضوية الكاملة بالكنيسة كشرط للمواطنة) وبين السكان . وعندما حدث ذلك ، بدأ الكثيرون يرون العهد

بشكل مختلف . فأصبح بالنسبة لهم عهداً بين الناس أكثر من كونه عهداً بينهم وبين الرب . وقد ساعد هذا على جعل فكرة العهد أقرب إلى فكرة عقد اجتماعي . وقد أضعف هذا من أهمية البيوريتانية في كل من الأمور الدينية والسياسية .

وعندما بدأ يخبو الشكل الأصلي للبيوريتانية، انتهج بعض زعماء الكنيسة نهجاً عملياً في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا المذهب (كووينج، ١٩٧١ : ١٧) . وبسبب فتور اهتمام الأفراد بالعضوية الكاملة في الكنيسة، تم إدخال ميثاق وسط . وقد حدث هذه الخطة من المتطلبات اللازمة للحصول على العضوية الجزئية بالكنيسة . ولقد حصل المعمدانيون على هذا النوع من العضوية إلى أن اثبتوا تلقيهم للنعمة الإلهية . بالنسبة لكثيرين، كانت هذه هي الغاية النهائية للعضوية . لذا؛ لم يحاولوا الخوض في المهام الصعبة لكي اثبتوا تلقيهم للنعمة الإلهية . وبالسماح للناس بالعضوية الجزئية بالكنيسة، زادت العضوية بالكنائس . ومع ذلك، فإنه مع سيادة الفكر البيوريتاني في المستعمرات إلا أنه لم يستطع أن يحتفظ بمكانته . ووفقاً لأحد التقديرات، فإن عشية الثورة الأمريكية، وصل عدد الأعضاء بأبرشيات الكنيسة في ماساتشوستس إلى ٢٢٪ فقط من إجمالي السكان، وفي جميع المستعمرات الأخرى مجتمعة وصل عدد الأبرشيات إلى الخمس (فينك وستارك ١٩٩٢) .

تراث البيوريتانية

يرفض معظم الأمريكيين اليوم سمات معينة للبيوريتانية (مثل المتعصب الديني) . ومع ذلك؛ فإن بعض المعتقدات البيوريتانية كان لها أثر على الثقافة والتطور الديني والسياسي لأمريكا . لذا؛ سوف نتعرض بإيجاز لبعض من هذه الأفكار .

العهد اللاهوتي والعقد الاجتماعي

كما أشرنا من قبل، فإن فكرة العهد - بمعنى أن البيوريتانيين قد عقدوا اتفاقاً مع الرب ومع بعضهم البعض لإقامة مجتمع وفقاً للقانون الإلهي - قد سبقت، وربما أثرت على آراء جون لوك الخاصة بالعقد الاجتماعي، كما لعبت دوراً مهماً في «إعلان الاستقلال» . لقد اختلف العقد الاجتماعي في «إعلان الاستقلال» اختلافاً تاماً عن عهد

البيوريتانيين، ولكنهم هم الذين أرسوا أسس التفكير في وجود عهد بين الأفراد والحكومة ليكون أساس المجتمع.

The City upon a Hill and American Destiny

The Puritans came to the new world thinking of themselves as the chosen people with a mission. The new world was the new Israel and the old world was the new Egypt. The Puritans had formed a covenant with God and with each other to build a society based on divine law.

المدينة الفاضلة والقدر الأمريكي

لقد جاء البيوريتانيون إلى العالم الجديد وهم يعتقدون أنهم شعب الرب المختار المكلف برسالة ما، والعالم الجديد هو إسرائيل الجديدة والعالم القديم هو مصر الجديدة. ولقد عقد البيوريتانيون عهداً مع الرب ومع بعضهم البعض ببناء مجتمع يقوم على أساس القانون الإلهي. فكان لابد لهم أن يكونوا بمثابة مدينة أعلى التل (أى مدينة فاضلة) تكون محط أنظار العالم أجمع. واليوم يعتقد الكثيرون في الولايات المتحدة، بأن الدولة مكلفة بمهمة خاصة، ويتعين عليها أن تكون مثلاً يُحتذى به في العالم أجمع. ويشعر كثير من الأمريكيين بأن الولايات المتحدة هي الأرض المختارة التي أسبغ الرب عليها نعمته. وقد انعكست هذه الرؤية - على سبيل المثال - في خطاب الرئيس كلينتون الافتتاحي سنة ١٩٩٧ حينما قال: «استرشاداً بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، دعونا نوجه أبصارنا إلى أرض ميعاد جديدة».

الأبرشانية والديمقراطية

في مستعمرة خليج ماساتشوستس كانت الأبرشيات تقوم منفردة باتخاذ قراراتها، ولكن في حدود معينة. وكانت هذه القرارات تتخذ بشكل ديمقراطي من جانب الأعضاء كاملى العضوية بالكنيسة. بالإضافة إلى ذلك، كان أعضاء الكنيسة ينتخبون الحكومة المدنية، وكان الأفراد كذلك ملتزمين بالتعلم. فكل فرد - على سبيل المثال - كان مطالباً بالتعلم لكي يستطيع قراءة الكتاب المقدس. وقد أسهمت تلك الممارسات في ترسيخ أسس الديمقراطية في الحكومة المدنية. ومن ناحية أخرى، اقتصرتم المشاركة

الكاملة فى الحكومة المدنية على الأقلية المحدودة المتمتعة بالعضوية الكاملة بالكنيسة . وباستثناء عناصر الديمقراطية التى كانت تمارسها القلة القليلة من أعضاء الكنيسة ، نجد زعماء الكنيسة يرفضون الديمقراطية كشكل حكومة للكنيسة أو للولاية . ويستشهد تشيد ستر (١٩٨٨ : ٣٤) بتصريح الحاكم جون ويشروپ الذى قال فيه : « إن الديمقراطية هى أخط وأسوأ شكل من أشكال الحكومة » . وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأبرشية ربما تكون قد عززت فكرة استطاعة البشر أن يصنعوا قراراتهم السياسية .

الخطيئة الأولى وحكومة محدودة

لقد آمن البيوريتانيون بأن الخطيئة الأولى وفساد البشر هما واقع الحياة ، وقد وجدت هذه الرؤية السلبية للطبيعة البشرية طريقها إلى الثقافة السياسية للحياة الأمريكية . وعلى الرغم من أن « إعلان الاستقلال » لم يؤكد هذه الرؤية السلبية ، إلا أن واضع الدستور - وبالأخص جيمس ماديسون - قد تأثروا بها . وقد زُجَّه مؤخراً انتقاداً للتعارض الموجود فى الحكومة الأمريكية ، حيث يصعب للغاية - فيما يبدو - تحقيق اتفاق بين جميع أفرع الحكومة لحل مشكلات الدولة . والشروط المسبقة لهذا التعارض قد وضعها المؤسسون الأوائل عمداً فى الإطار الدستورى وفقاً لهذه الرؤية السلبية للطبيعة البشرية ، فقد شكلوا حكومة مقيدة بقيود وضوابط وفصل بين السلطات . فلم يؤمن المؤسسون الأوائل بوجود ديمقراطية جامحة بدون حدود . لذلك أتاح النظام الذى وضعوه ؛ درجة محدودة من الديمقراطية ، وحتى هذه الدرجة قيدتها القيود والضوابط .

* المستعمرات البريطانية الأخرى

لم يقتصر وجود البيوريتانية على مستعمرة خليج ماساتشوستس ، ولكنها وصلت ، بشكل أو بآخر ، إلى معظم المستوطنات الاستعمارية الأخرى . وعلى الرغم من أن أكبر تأثير على التطور السياسى والدينى لأمريكا جاء من بيوريتانى مستعمرة ماساتشوستس ، فقد كانت هناك أيضاً تطورات مهمة فى المستعمرات الأخرى .

بليموث، المهاجرون البريطانيون الأوائل

كان المهاجرون (البريطانيون) الأوائل -الذين استقروا في بليموث عام ١٦٢٠- بيوريتانيين من نوع مختلف. فقد تقبل هؤلاء المهاجرون -على سبيل المثال- التنوع الديني أكثر مما تقبله بيوريتانيو مستعمرة خليج ماساتشوستس (كووينج ١٩٧١: ٦٢). وعلى عكس جيرانهم، كان المهاجرون الأوائل انفصاليين، أى أنهم انفصلوا تمامًا عن كنيسة إنجلترا وأقاموا الكنائس الخاصة بهم، بينما احتفظ بيوريتانيو الخليج بالروابط الرسمية مع كنيسة إنجلترا.

وكان المهاجرون الأوائل مجموعة صغيرة نسبيًا. ولذا فإنهم كمجموعة، لم يستطيعوا أن يصبحوا قوة مؤثرة وأصبحوا في أواخر القرن السابع عشر جزءاً من مستعمرة ماساتشوستس الأوسع. وميثاقهم المسمى بميثاق «ماي فلاور» معروف تمامًا. وهذا الميثاق الديني والاجتماعي يُشبه إلى حد كبير العهد القديم الذى ناقشناه سابقاً، فقد وقّع عليه المستعمرون وهم مازالوا على متن سفينة «ماي فلاور» وأصبح هذا الميثاق بمثابة التنظيم الديني والاجتماعي للمستعمرة.

رود آيلاند والحرية الدينية

لقد وصل روجر ويليامز -وهو قس بيوريتانى- إلى بوسطن آتياً من إنجلترا في عام ١٦٣١، ونفى رسمياً من مستعمرة خليج ماساتشوستس في عام ١٦٣٥. وفى يناير عام ١٦٣٦، صدر الأمر بإلقاء القبض على ويليامز وإعادته إلى إنجلترا، ومع ذلك استطاع الهروب من المستعمرة. وفى أواخر ذلك العام، اشترى ويليامز بعض الأراضي من السكان الأصليين لأمريكا، وأسس مدينة «بروفيدنس».

لقد وصف جوستاد (١٩٩٠: ٦٥-٦٦) ثلاثة أمور اختلف فيها ويليامز مع الزعماء البيوريتانيين وأدت إلى نفيه. أول هذه الأمور هو تأييد ويليامز لفصل الكنيسة عن الدولة من أجل تطهير الكنيسة بشكل أكبر. ثانياً، أراد ويليامز الانفصال تماماً عن كنيسة إنجلترا. ثالثاً، أعرب ويليامز عن قلقه إزاء قيام البيوريتانيين بالاستيلاء ببساطة على أراضي السكان الأصليين لأمريكا دون الاتفاق معهم أو تعويضهم عن الأرض. بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال: إن الملك شارلز الأول لا يحق له منح الأرض للبيوريتانيين لأنه لا يملكها أصلاً.

إن تجربتي روجر ويليامز ورود أيلاند ترتبطان الآن بالتسامح الديني . ومع ذلك، فإن ويليامز لم يبدأ دعوته على هذا النحو، فقد كانت آراؤه نتاج سعيه إلى تحقيق بيوريتانية أكثر تطهراً من تلك الموجودة بمستعمرة خليج ماساتشوستس، وقد فسر ميللر وچونسون (١٩٣٨ : ١٨٦) تطور ويليامز على هذا النحو:

«لقد تحول ويليامز من بيوريتاني أرثوذكسي، إلى مناصر للحرية الدينية، لأنه اكتشف أن الحقيقة الروحانية هي حقيقة نادرة وسامية وعالية للغاية، وهي جمال لا يمكن تكيله بكنيسة دنيوية أو مصلحة كهنوتية».

وفي رود أيلاند، قام روجر ويليامز بنشر آرائه الدينية والسياسية . أولاً، قام بشراء الأرض من السكان الأصليين لأمريكا بدلاً من الحصول ببساطة على صك ملكية من الحكومة البريطانية . ثانياً، لم يكن هناك كنيسة رسمية في رود أيلاند لأن الدور الذي كانت الحكومة تلعبه هو توفير النظام الاجتماعي، ولكن لم يكن لها أي رقابة على الحياة الدينية . إنه روجر ويليامز - وليس توماس جيفرسون - هو أول من استخدم استعارة الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة، وكان هدفه حماية الكنيسة من فساد العالم (هاو ١٩٦٥).

وعلى الرغم من قوة معتقداته الدينية، فقد دعا ويليامز إلى الحرية الدينية والفصل بين الكنيسة والدولة . وكما أوضحنا في المقدمة، فإن أحد حجج الفصل القانوني بين الكنيسة والدولة هو حماية الدين من تدخل الحكومة . لقد شعر ويليامز أن جهود الحكومة لإكراه الناس على قبول معتقدات دينية معينة، سيؤدي فقط إلى النفاق . كما شعر أيضاً أن اضطهاد الناس بسبب معتقداتهم الدينية هو خطأ أخلاقي، والدولة التي تحكمها الديمقراطية ويتوافر فيها نظام عام، لا بد وأن ينعم في مثلها الأفراد بحرية التمسك بمعتقداتهم الدينية .

وبسبب هذه الحرية الدينية في رود أيلاند، أصبحت المستعمرة تتمتع بالتنوع فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية والبروتستانتية . وقد ساعد ويليامز في إقامة كنيسة معمدانية، وكان هو نفسه معمدانياً لفترة ما . وبالإضافة إلى المعمدانيين، فقد كان هناك الصاحبيون (الكويكرز)، وفيما بعد الإنجليكانيون والأبرشيون . كانت هناك آراء بروتستانتية مختلفة، وفي نهاية الأمر، تواجد اليهود والكاثوليك أيضاً في رود أيلاند .

التعددية الدينية فى مستعمرات الوسط الأمريكى

إن نمط نيو إنجلاند- الذى ناقشناه فيما يتعلق بماساتشوستس- قد طبق بدرجة كبيرة فى كل من مستعمرة نيوهامشير وكونكتيكت، ولكن لم يطبق فى رود آيلاند. فى الجنوب كانت توجد مستعمرات كارولينا الشمالية والجنوبية، وجورجيا، وفرجينيا، وفى الوسط نيويورك، ونيو جيرسى، وبنسلفانيا، وديلاوير، ومارى لاند. احتوت مستعمرات الوسط على أكبر قدر من التنوع الدينى الذى كان له- بلا شك- أثر بالغ على نمو مشاعر التسامح الدينى خلال القرن الثامن عشر. لقد أسس ويليام بن- وهو من الصاحبين- مستعمرة بنسلفانيا «كتجربة مقدسة». وكان يؤمن بأنه لا بد أن يحصل الناس على الخلاص الروحانى بإرادتهم وليس عن طريق كنيسة رسمية، كما آمن بشدة بالتسامح الدينى، وأدخل عن عمد التنوع الدينى فى تطويره لبنسلفانيا. ولم يكن هدف «بن» هو إنشاء مستعمرة تقتصر على الصاحبين- بل على العكس- كان هدفه هو خلق جماعات دينية متنوعة داخل بنسلفانيا، على الرغم من أنه عمل على فرض آراء الصاحبين على كل المقيمين فى المستعمرة فيما يتعلق بالمعايير الأخلاقية. وقد عمل بنشاط على هداية الناس. فإلى جانب الصاحبين، كان هناك المنونيت والأمش واللوثريون الألمان والمصلحون الألمان والمشيخيون الأسكتلنديون والأيرلنديون ومعمديو ولش والميثوديون الأفارقة الأحرار، والكاثوليك الأيرلنديون والربوبيون والإنجليكانيون وغيرهم (جوستاد، ١٩٩٠ : ٩١-٩٢؛ ميللر، ١٩٧٦ : ٤٩). ساعد التنوع الدينى على حماية الحرية الدينية، وما قد يندش له البعض هو أن المستعمرة قد ازدهرت.

وقد ظهر التنوع الدينى فى كل من نيويورك ونيوجيرسى بالرغم من الجهود الرسمية المناهضة له. ففى البداية- على سبيل المثال- استوطنت نيويورك (وهى فى الأصل هولندا الجديدة) شركة غرب الهند الهولندية وأصبحت كنيسة الإصلاح الهولندية هى الكنيسة الرسمية. وكان الهولنديون متسامحين إلى حد ما وغير متشددين دينياً، وكانت المنطقة بشكل أو بآخر تعج بأشخاص لهم آراء دينية متنوعة. وعندما حاول المدير العام (بيتر ستويشنت)- فيما بعد- أن يقلل من هذا التنوع (مثلاً باستبعاد اليهود من المستعمرة أو بمعاينة الصاحبين)، قامت شركة غرب الهند وأبناء قومه بتعنيفه. وفى عام ١٦٦٤ استولى البريطانيون على هولندا الجديدة، وفى ظل حكم الدوق يورك، أصبحت تسمى نيوريورك. ولفترة وجيزة كان هناك قدر أكبر من التسامح الدينى بسبب التعاطف الكاثوليكي للدوق، ولكن بعد أن أصبح الدوق هو الملك جيمس الثانى وتمت الإطاحة به

فى الثورة المجددة لعام ١٦٨٨ ، وأصبحت كنيسة إنجلترا فى النهاية هى الكنيسة الرسمية فى نيويورك . ومع ذلك ، لم يستطع حكام نيويورك أن يحققوا الوحدة الدينية عن طريق إقامة الكنيسة الإنجليكانية . فالتنوع الدينى الذى أحبط جهود بيتر ستوبفيسنت استمر أيضاً فى إحباط الجهود المبذولة لخلق كنيسة موحدة (جوستاد ، ١٩٩٠ : ٨٥) .

كان الهدف الأسمى من إقامة مستعمرة مارى لاند هو أن تصبح مأوى للكاثوليك ، ولكنها لم تبق كذلك لفترة طويلة . لقد أسس سيسل كالفرت (لورد بالميمور) - وهو كاثوليكى - مستعمرة مارى لاند فى عام ١٦٣٤ وكان هدفه هو جذب كل من الكاثوليك والبروتستانت إليها . ومع ذلك ؛ فسرعان ما فاق عدد البروتستانت عدد الكاثوليك . وفى عام ١٦٤٩ أُنقِص كالفرت مجلس مارى لاند بإصدار قانون التسامح الذى يكفل الحرية الدينية لجميع الأشخاص الذين يعلنون إيمانهم بعمسى المسيح . وفى النهاية ، سيطر البروتستانت على مارى لاند واستبعدوا الكاثوليك من تقلد المناصب العامة . بالإضافة إلى ذلك ، أصبحت مارى لاند بعد الثورة المجددة لعام ١٦٨٨ إقليمًا ملكيًا ، وأصبحت كنيسة إنجلترا فيما بعد هى الكنيسة الرسمية لها .

مستعمرات الجنوب

فى عام ١٦٠٧ كانت أول مستعمرة بريطانية دائمة - فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة - هى مستعمرة جيمس تاون بفرجينيا . وقد أنشئت هذه المستعمرة لتحقيق الربح (الذى يُقَوَّى الإمبراطورية البريطانية) والانتشار لكنيسة إنجلترا . وقد كانت الكنيسة الإنجليكانية هى الكنيسة الرسمية ، وكان الناس مطالبين عادة بالذهاب إلى الكنيسة والمساهمة فى دعمها . ومع ذلك ، ظلت الكنيسة الإنجليكانية على الأقل خلال النصف الأول من القرن السابع عشر فى غاية الضعف . فلم تكن موارد الكنيسة كبيرة ، وزيادة تكلفة الأرض كانت تعنى ضعف انتشار نفوذ الكنيسة . بالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك قلة فقط من رجال الدين الإنجليكانيين - فيما يبدو - مجدين فى عملهم ولذلك لم تعط غالبيتهم نموذجًا طيبًا . وبصفة عامة ؛ فإن رجال الدين هم الوحيدون الذين أمكن إقناعهم بترك إنجلترا والذهاب إلى فرجينيا ، كانوا هؤلاء الذين يرغبون فى الهرب من مشاكلهم (مثل الديون) فى بلادهم القديمة (جوستاد ، ١٩٩٠ : ٤٣) . ولكن الوضع تحسن فى النصف الثانى من القرن ، وأصبح التنظيم الإنجليكانى أقوى . وقد زاد التنوع البروتستانتى فى فرجينيا بعد

صدور قانون التسامح البريطاني في ١٦٨٩. وفي القرن الثامن عشر بدأ المعمدانيون والمشيخيون والميثوديون في التدفق على فرجينيا. وبسبب الاضطهاد الذي نجم عن ذلك، ساهمت فرجينيا في ظهور رجال- مثل جيفرسون وماديسون- أيدوا بشدة الحرية الدينية.

وفي عام ١٦٦٣ وهب الملك شارلز الثاني لبعض مؤيديه الأرض التي سميت بعد ذلك كارولينا والتي قسمت إلى كارولينا الشمالية و كارولينا الجنوبية. وكان بناء المستوطنات في تلك المنطقة بطيئاً للغاية. ويذكر جوستاد (١٩٩٠ : ٩٠) أنه بانتهاء القرن السابع عشر بلغ عدد سكان كارولينا نحو ثمانية آلاف، نصفهم كانوا من العبيد السود. وكان اهتمام ملاك كارولينا بالربح أكبر من اهتمامهم بالدين؛ لذا منحوا الحرية الدينية لكل من جاء للإقامة بالمنطقة. كانت سلطة الكنيسة ضعيفة للغاية في المناطق الواسعة بكارولينا الأولى، حيث ندرت الإقامة وضعفت الحكومة (ألستروم، ١٩٧٢ : ١٩٦). فكانت الكنيسة الإنجليكانية هي أول كنيسة في كارولينا الشمالية و كارولينا الجنوبية، ولكن باءت بالفشل الجهود التي بذلت لجعلها الكنيسة الرسمية. كان هناك تنوع ديني (بروتستانتى) كبير، كما كان هناك تنوع ثقافي جعل من الصعب على كنيسة ضعيفة أن تفرض التوحد الديني.

لم تتأسس جورجيا- وهي آخر المستعمرات البريطانية التي أقيمت فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة- حتى عام ١٧٣٧. وبينما كانت الكنيسة الإنجليكانية هي الكنيسة الرسمية، إلا إنها كانت ضعيفة. وعندما حدثت الثورة المجيدة، كان عدد سكان جورجيا صغيراً وكان السكان متنوعين ومبعثرين نسبياً.

* الصحوة الكبرى

سيطرت الإمبراطورية البريطانية في نهاية القرن السابع عشر على جميع المستعمرات. وبينما دعم ذلك من الوضع الرسمي للكنيسة الإنجليكانية في بعض المناطق، إلا أن قانون التسامح البريطاني لعام ١٦٨٩ (*) ساعد في الحد من قوى

(*) ينص قانون التسامح البريطاني الصادر عام ١٦٨٩ على «حرية العبادة لكل الأديان إلا : الكاثوليك والموحدين». المصدر : Introduction to : Comparative Government, Michael Curtis "General Editor" ISBN 0-06-041466-9. الترقيم الدولي : ٣٠ الصفحة الثانية - Harper Collins

وبالطبع لسنا في حاجة لتوضيح أن ذلك القانون، ينحصر تسامحه في طوائف البروتستانتية -الناشر .

التعصب الدينى . وفى القرن الثامن عشر ، ظهرت قوتان مهمتان كان لكل منهما تأثير
ضمنى قوى على الثورة الأمريكية والحرية الدينية . وسيتناول هذا الجزء الصحوة
الكبرى ، بينما يتناول الجزء التالى العقلانية الدينية .

سولومون ستودارد (١٦٤٣-١٧٢٩)

وجوناشان إدواردز (١٧٠٣-١٧٥٨)

كانت الصحوة الكبرى هى إحياء دينى للكالفينية والإيقانجيليكية فى ثلاثينيات
وأربعينيات القرن الثامن عشر . كانت حركة واسعة ؛ بمعنى أنها حاولت أن تضم إلى
الكنيسة أناساً لم يكن يُسمح لهم بذلك بمقتضى المعايير البيوريتانية القديمة ، ونجحت
الحركة فى تحقيق ذلك . وتميزت هذه الحركة أيضاً بالوعظ الوجدانى المؤثر للغاية ، فقد
كانت الحركة تخاطب الوجدان أكثر من المنطق الدينى . وكانت الحركة الدينية
الإيقانجيليكية تنظر إلى الهداية إلى الرب على أنها عملية مفاجئة ومهمة تحدث بسرعة
وتغير الشخص من خلال إعادة ميلاده دينياً .

ويُعزى كثير من الصحوة الكبرى فى بدايتها إلى الجهود السابقة لسولومون
ستودارد ، وهو قس أبرشية نورث هامبتون بكونكتيكت (كويينج ، ١٩٧١ : ٤١ -
٤٥) . قام ستودارد أساساً بتشجيع الناس على الذهاب إلى الأبرشية ، وذلك بإلغاء
التمييز بين من استطاعوا إثبات تلقيهم للنعمة الإلهية ومن لم يستطيعوا ذلك . فكانت
الأبرشية تضم كلاً من هؤلاء الذين حققوا الخلاص وهؤلاء الذين ينشدونه . ولم يفرق
ستودارد بين المجموعتين عند المشاركة فى القداس الخاص بتناول العشاء الربانى . وكان
الهدف من هذا الأسلوب هو تشجيع الجميع عملياً على الذهاب إلى الكنيسة ثم
هدايتهم إلى الرب .

وكان أسلوب ستودارد فى هداية الناس أمراً غير معتاد فى ذلك الوقت . ولم
يختلف كثيراً جوهر تعاليم ستودارد عن الأفكار البيوريتانية التقليدية ، ولكن أسلوبه
كان إيقانجيلياً تبشيراً . وأسلوب ستودارد يكشفه قوله الذى غالباً ما يُستشهد به :

«إن الكلمة هى المطرقة التى يجب أن نستخدمها لكسر قلوب الرجال المتحجرة»
(كويينج ، ١٩٧١ : ٤٣) . ومن أجل هداية النفوس إلى الرب ، استحضرت ستودارد
بمهارة وبشكل مؤثر مشاعر الخوف من اللعنة الإلهية من ناحية ، وإمكانية دخول الجنة

من ناحية أخرى . فقد أُرهب ستودارد الناس أولاً (إن هذا ما سينزله الرب من عقاب على كل من لم يحقق الخلاص)، ثم يبشرهم بعد ذلك بالبشرى الطيبة (ها هي الطريقة التي يمكنكم بها تحقيق الخلاص).

وقد استأنف جزءاً من عمل استودارد حفيده الشهير جونانان إدواردز المعروف بموعظته الشهيرة «الخطأون بين يدي إله غاضب» . بعد وفاة ستودارد خلفه إدواردز كواعظ في نورث هامبتون . وعلى الرغم من أن إدواردز كان أقل تأثيراً من استودارد، إلا أنه كان متميزاً في استخدامه أسلوباً مؤثراً للغاية للتعبير عن الأفكار اللاهوتية المتقدمة بطريقة واضحة يسهل فهمها . وقد صنف البعض (مثل نول وآخرون ١٩٨٩) إدواردز كأهم عالم لاهوت في فترة الصحوة الكبرى .

ويرى ريتشلي أن تأثير إدواردز الأساسي في السياسية هو قيامه بربط آمال «العصر الألفى السعيد» . الناجمة عن الصحوة الكبرى - بالقومية الأمريكية التي كانت قد بدأت تنمو، وعلى الرغم من أن إدواردز آمن بأن المجتمع الإنساني مجتمع فاسد، إلا أنه آمن أيضاً بأنه من الممكن من خلال المجتمع المدني أن تتحقق مملكة الرب على الأرض بشكل تدريجي . وآمن أنه بمرور الوقت من الممكن إحراز تقدم تجاه هذا الهدف . وكان الإيمان بالتقدم التدريجي تجاه مجتمع أفضل له أهمية كبيرة في معتقدات المسيحيين الإيقانجليكيين الأمريكيين في القرن الثامن عشر، كما كان له أثر على الثقافة السياسية . وكما سنرى في الفصل الرابع، فإن هذا الاعتقاد مازال موجوداً حتى الآن (مثل جهود المبشرين البروتستانت الإيقانجليكيين في مجال العمل الاجتماعي).

جورج وايتفيلد (١٧١٤ - ١٧٧٠)

كان جورج وايتفيلد من أعظم وعاظ الصحوة الكبرى وأوسعهم صيتاً في جميع المستعمرات . لقد تجول وايتفيلد بين المستعمرات لإلقاء المواعظ في الفترة ما بين ١٧٣٨ و ١٧٧٠ . وقد لعب في ذلك الوقت دوراً أساسياً في الإحياء الديني لكل من الكالفينية والإيقانجليكية . وكانت رسالته أيضاً أكثر رفقاً من تلك الأفكار المرعبة التي كان يقدمها بعض الكالفينيين (كوينج، ١٩٧١ : ٦٠) .

ومن الواضح أن وايتفيلد كان خطيباً ساحراً يأسر ألباب من يستمعون إليه . فصوته القوى كان يصل لآلاف الجماهير المحتشدة لسماعه . لقد أحصى بنيامين فرانكلين عدد الذين يصل إليهم صوت وايتفيلد في المرة الواحدة بثلاثين ألفاً . وعلى الرغم من أن وايتفيلد لم يكن عالم لاهوت على النحو الذى كان عليه جونانان إدواردز، إلا أنه كان نموذجاً للوعاظ المهتمين بإيقاظ الشعور الدينى ، وقد حمل رسالة الإحياء الدينى إلى الناس بكفاءة غير مسبوقة .

آثار الصحوة الكبرى

جسد إحياء وايتفيلد للشعور الدينى ذروة الصحوة الكبرى ، وقد شهد كثير من الناس بأن حركة الإحياء هذه كان لها آثار كبيرة فى المستعمرات . يقول نول وآخرون (١٩٨٩ : ٥٢) إن الصحوة الكبرى كان لها آثار ثلاثة : لقد هدت كثيراً من المسيحيين الجدد، واستحثت كثيراً من الكنائس وجعلتها أكثر نشاطاً، وكان لها تأثير على الثقافة الاستعمارية (مثل الاهتمام بشكل أكبر بالتعليم من أجل الأغراض الدينية والعلمانية) . ويرى تشيد ستر (١٩٨٨ : ٥٠ - ٥٢) أن التَّقْوَىَ البروتستانتية (أى تجسيد التجربة الشعورية الداخلية للسلطة الدينية) فى الصحوة الكبرى قد أيدت توزيع السلطة السياسية بشكل ديمقراطى أكبر .

وقد استخدمت حركة القرن الثامن عشر التَّقْوَىَ Pietism - لتحفيز الثورة الأمريكية . وينتهى كووينج (١٩٧١ : ٢٢٤) إلى أن تعاضم العنصر الإيقانجليكي فى سكان المستعمرات كان عاملاً حاسماً فى الثورة الأمريكية وفى تقنين الحرية الدينية . إننا نستطيع أن نستخلص عدة نقاط من حجج كل من كووينج (١٩٧١) وهيمرت (١٩٦٦) تشيد ستر (١٩٨٩) لتوضيح كيفية دعم الصحوة الكبرى فى نهاية الأمر للثورة :

● أعطت الحركة التَّقْوَىَ للناس إحساساً بقوة دينية شخصية، وقد أدى هذا إلى الشعور بالقوة الفردية فى سائر المجتمع ، وساعد هذا على تدعيم مزيد من الممارسة السياسية الديمقراطية .

● كفاح الأيقانجليكيين عند اصطدامهم بالمؤسسات الدينية التقليدية من أجل تحقيق الحرية الدينية، وهذا أدى بدوره إلى تأييد الحرية السياسية ودعم استقلال المستعمرات عن بريطانيا العظمى والكنيسة الإنجليكانية .

• هؤلاء الذين قبلوا حركة «العصر الألفى السعيد» - أى الاعتقاد فى حدوث تقدم نحو تحقيق مملكة الرب على الأرض، - قد حرصوا على تحقيق ذلك بإقامة نظام اجتماعى أفضل.

وما من شك أن الحركة التَّقويّة قد أجمت الكثير من الحماس الدينى والوجدانى للثورة الأمريكية، أما الفكر العقلانى فقد أجمته حركة مختلفة هى الحركة العقلانية.

الدين العقلانى

التنوير الأوروبى فى المستعمرات

لقد ركز التنوير الأوروبى الذى بدأ أساساً فى القرن السابع عشر على استخدام المنطق لاكتشاف وفهم القوانين التى تحكم الطبيعة والمجتمع. اشتملت هذه الحركة على مفكرين مختلفين؛ بدءاً من هؤلاء الذين كانت إنجازاتهم الأساسية فى مجال الطبيعة (مثل نيوتن) ووصولاً إلى هؤلاء الذين كانت إسهاماتهم الأساسية فى مجال الفلسفة (مثل لوك). ولتفهّم جميع مظاهر الكون، سواء ما يتعلق بقوانين الحركة أو قوانين الرب، استخدم هذا الأسلوب المنطق لدراسة وتحليل وفهم تلك المظاهر. وتوقع العقلانيون أن يؤدى منهجهم إلى احراز تقدم بالنسبة لتحسين أوضاع البشر.

ومن الواضح أن الحركة العقلانية الأوروبية كان من الصعب أن يتبعها الشخص العادى الذى يعمل بالمستعمرات. فبالرغم من أن الخلفية البيوريتانية قدّرت قيمة التعليم وطالبت الناس بتعلم القراءة، إلا أن الشخص العادى فى المستعمرات لم يكن يعرف أو يهتم بمعرفة أى شىء عن تيارات الفكر الثقافى فى أوروبا. ومع ذلك، فقد توافرت للأسر المسورة الحال نسبياً كل من الموارد والوقت اللازمين للمشاركة فى التنوير الأوروبى. ويعتبر كل من توماس جيفرسون وبنيامين فرانكلين مثلين رائعين لتطبيق المذهب العقلانى فى كل من عالم الطبيعة (عن طريق اختراعاتهما) والعالم الاجتماعى (عن طريق نظريتهما السياسية).

ولقد كوّن العديد من الصفوة التى تبنت الآراء التنويرية رؤية غير تقليدية للدين، فالدين نفسه كان يجرى تحليله بطريقة عقلانية. وقد أدى هذا إلى ظهور مناهج دينية أطلق عليها «الدين العقلانى» أو «العقلانية الدينية».

دين التنوير

تلقى بعض رجال الدين فى المستعمرات تعليمهم فى كليات تعرضوا فيها لفسلفة التنوير، لذا رفض دينهم العقلانى المتحرر النظرة الكالفينية التقليدية القديمة التى تؤكد على فساد الطبيعة البشرية، وعلى القضاء والقدر، وضرورة التحويل. وعلى عكس ذلك، كان للدين العقلانى رؤية أكثر اعتدالاً للطبيعة البشرية والآمال البشرية، ولم يكن تركيزه على الحياة الأخرى، ولكن على ما يفعله المرء فى هذه الحياة الدنيا. مثلاً: ما الذى يتعين على المرء أن يفعله ليحيا حياة طيبة؟ كيف يعامل الناس بعضهم البعض؟ يقول آلستروم (١٩٧٢ : ٣٥٦-٣٥٨) إنه لم يكن هناك أفكار موحدة فى لاهوت التنوير، ولكن كان هناك أفكار معينة يشترك فيها الجميع على نطاق واسع. ويصف آلستروم سبع خصائص أساسية «للمسيحية المستنيرة». سوف نتعرض لها هنا بإيجاز.

١- أكدت «المسيحية المستنيرة» دور البشر فى تخلص أنفسهم من الخطيئة كما رفضت فكرة القدرية.

٢- أكدت على ضرورة بساطة المعتقدات المسيحية.

٣- أكدت على ضرورة مساعدة الناس فى أن يحيوا حياة أخلاقية.

٤- لم تعط اهتماماً كبيراً للأسرار المقدسة والكهنوتية إلا فيما يتعلق بالإرشادات الأخلاقية.

٥- ركزت بشكل كبير على المنطق، وقللت من أهمية القيود التى تفرضها الظروف التاريخية على البشر.

٦- أكدت فكرة تقدم الإنسان دينياً وعلماً.

٧- نظرت إلى الرب على أنه سلطة غيبية تحكم الكون من خلال قوانين طبيعية وليس إلهاً له طبيعة مادية كطبيعة البشر.

الدين العقلانى والسياسة الثورية

كان من الطبيعى أن يلائم هذا الدينُ العقلانىُ النظامَ السياسى الذى يعمل على توسيع السلطة السياسية لكى لا تكون قاصرة على قلة من الناس. إن كلاً من الدين العقلانى وفسلفة التنوير تواءما بشكل كبير مع الطرق الجديدة التى ظهرت لأداء

الأعمال فى ظل رقابة البشر ، أولاً: كان لابد لهم من الابتعاد عن الطرق القديمة المتبعة فى إنجاز الأعمال ، وهذا ما قد تحقق بدرجة كبيرة فى الثورة الأمريكية . ولكن القوة الدافعة للدين العقلانى لم تكن وحدها تكفى لتحقيق الثورة . لقد كان هناك توافق ما بين الدين العقلانى ودين التَّقْوَى والإيقانجلىكية ، مثلاً - فيما يتعلق بالإيمان بإحراز تقدم تجاه تحقيق بعض الأمور المثالية على الأرض - وحدث تلك المذاهب قواتها مؤقتاً من أجل الثورة (ميد ، ١٩٧٨) .

لم تحقق الثورة وحدها أى شىء ، ولكن هذه المهمة تحققت فيما بعد عندما أصبح الدستور سارى المفعول . وتغير الدستور بمرور الوقت ، ولكن مازال هناك اهتمام بالغ بالمعنى الذى ارتبط به فى بدايته . لذا سيتناول الفصل التالى أهداف المزارعين ، (أى المؤسسين الأوائل) . فى هذه الدراسة سنلقى مزيداً من الضوء على تأثير الدين العقلانى على هؤلاء الذين صاغوا الهيكل المبدئى لحكومة الولايات المتحدة .

* الملخص والنتائج

لعب الدين دوراً مهماً فى التطور الاستعمارى لهذه البلاد ، وقد استمرت آثار هذا الدور فى التأثير على الروابط الدينية والسياسية فى الولايات المتحدة . ارتبطت الدوافع الدينية بالدوافع الاقتصادية فى إقامة الكثير من المستعمرات الأولى ، سيطر الفكر البيوريتانى على شكل الدين فى المستعمرات الأولى ، فبعض مظاهر الفكر البيوريتانى (مثل فكرة العهد ورؤية الطبيعة البشرية) وجدت طريقها إلى الثقافة السياسية الأمريكية . حينما خبت سيادة المذهب البيوريتانى الذى جنح نسبياً إلى التطهر ، ظهرت حركتان دينيتان أخريان هما : الصحوة الكبرى والدين العقلانى . وحدثت الحركتان - بشكل مؤقت - قوتيهما لدعم الثورة الأمريكية ، وبالتالي أثرتا بطرق مختلفة على التطور السياسى الأمريكى . وسنتقل الآن لندرس عن كُتب الأهداف الدينية والسياسية لمؤسسى الولايات المتحدة الأوائل .

References

- Ahlstrom, Sydney E. 1972. *A Religious History of the American People*. New Haven: Yale University Press.
- Chidester, David. 1988. *Patterns of Power: Religion and Politics in American Culture*. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.
- Cowing, Cedric B. 1971. *The Great Awakening and the American Revolution: Colonial Thought in the 18th Century*. Chicago: Rand McNally.
- Finke, Roger, and Rodney Stark. 1992. *The Churching of America, 1776–1990: Winners and Losers in Our Religious Economy*. New Brunswick, New Jersey: Rutgers University Press.
- Fowler, Robert Booth. 1985. *Religion and Politics in America*. Metuchen, New Jersey: American Theological Library Association.
- Gaustad, Edwin Scott. 1990. *A Religious History of America*. San Francisco: Harper and Row.
- Heimert, Alan. 1966. *Religion and the American Mind: From the Great Awakening to the Revolution*. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.
- Howe, Mark DeWolfe. 1965. *The Garden and the Wilderness: Religion and Government in American Constitutional History*. Chicago: University of Chicago Press.
- Mead, Sidney E. 1978. "American Protestantism During the Revolutionary Epoch." Pp. 162–180 in John M. Mulder and John F. Wilson (Eds.), *Religion in American History: Interpretive Essays*. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.
- Miller, Glenn T. 1976. *Religious Liberty in America: History and Prospects*. Philadelphia: Westminster Press.
- Miller, Perry, and Thomas H. Johnson (Eds.). 1938. *The Puritans*. New York: American Book Company.
- Miller, Robert. 1989. "Religious Conscience in Colonial New England." Pp. 9–24 in James E. Wood, Jr. (Ed.), *Readings on Church and State*. Waco, Texas: J.M. Dawson Institute of Church-State Studies.
- Noll, Mark A., Nathan O. Hatch, and George M. Marsden. 1989. *The Search for Christian America*. Colorado Springs: Helmers & Howard.
- Reichley, A. James. 1985. *Religion in American Public Life*. Washington, D.C.: Brookings Institution.
- Ward, Nathaniel. 1647. "The Simple Cobbler of Aggawam." Reprinted in pp. 95–108 of Perry Miller (Ed.), *The American Puritans: Their Prose and Poetry*. Garden City, New York: Doubleday, 1956.
- Wilson, John F. 1990. "Religion, Government, and Power in the New American Nation." Pp. 77–91 in Mark A. Noll (Ed.), *Religion and American Politics: From the Colonial Period to the 1980s*. New York: Oxford University Press.